فعل السخرية في المجموعة القصصية "أحلام تحت درجة الصفر" لسليم بتقة

The act of Irony in Dreams Under Zero Degree C.
Short Stories Collection by Salim Betka

الدكتورة: جغام ليلى

قسم الآداب واللغة العربية-جامعة محمد خيضر-بسكرة(الجزائر)
l.djegham@univ-biskra.dz

تاريخ الإيداع: 2023/04/01 تاريخ القبول: 2023/11/02 تاريخ النشر: 2023/12/05

ملخص:

تتحدّد إشكالية هذه المقالة في بحث فعل السخرية في مدونة قصصية لروائي جزائري مبدع، ومفاد ذلك أنّ موضوعها متعلّق بالكشف عن أثر السخرية كمظهر له أهميته في الدراسات البلاغية والتداولية في المجموعة القصصية "أحلام تحت درجة الصفر" للروائي المتميّز الأستاذ الدكتور سليم بتقة، والتي نجدها تأخذ أشكالا عدّة في مدوّنة الدراسة، حيث تتمايز هذه الأشكال وتتباين على اختلاف موضوع كلّ قصّة وأحداثها وشخصياتها.

وتحقيق بحث هذه المقالة يوصلنا إلى أنّه رغم تعدّد أشكال السخرية واختلافها في قصص المجموعة إلاّ أنّ هناك خيوطا رفيعة تربط بين هذه الأشكال مضمونها متلخّص في أنّ صاحب هذه المجموعة اختار قصصها لنماذج اجتماعية تكوّن مجموعات بشرية قد نصادفها في واقعنا المعاش، ممّا يسم هذه الملامح الساخرة بالواقعية، وهذا ما يسعى صاحب النص لتبليغه للقارئ.

الكلمات المفتاحية: السخرية الواقعية ؛ أحلام تحت درجة الصفر ؛ فعل السخرية ؛ سليم بتقة ؛ السخرية ؛ الاستهزاء؛ الفكاهة.

Abstract:

Irony, which refers to humor- or emphasis-based discrepancy between expectation and reality- is an important literary device in rhetorical and

pragmatic studies. In Dr. Salim Betka's *Dreams Under Zero Degree C.*, irony seems to sneak through the *cracks* of this short stories collection in different ways according to the theme, plot, and characters of each story. Despite the different manifestations of irony in the stories, a subtle thread of a pattern seems to come out of the collection. All the characters and events are so close to reality that it is easy for readers to identify themselves, which eventually makes the ironical situations all too real. Overall, the author's deliberate, purposeful inclusion of irony in the *Dreams Under Zero Degree C.* proves to be conscious and cerebral meant to add a *soupçon* of realism.

key words: Irony- realism; *Dreams Under Zero Degree C;* Act of irony; Irony; Salim Batka; Irony; Mockery; Humor.

مقدّمة :

نحاول في هذه المقالة أن نتتبع مواضع السخرية في قصص المجموعة في نماذج يمثّل كل واحد منها شكلا يتميّز عن الآخر في مضمونه ومحتواه، وربما اجتمعت هذه النماذج في أصل صياغتها واشتركت في منبع توظيفها، هذا ما سنكشفه من خلال استعراضنا لصورها وتحليلها، ثمّ ربطها بمنابعها من جهة وبما يمكن أن تشترك فيه فيما بينها من حيث تشكيل قصصها لمجموعة قصصية واحدة من جهة أخرى، وربما تجلى غرضنا من هذه الدراسة كون النماذج تمثّل صورا لواقع اجتماعي معاش أراد صاحب المجموعة القصصية تجسيده أو إسقاطه على شخصيات قصصه .

1– مفهوم السخرية :

قبل الخوض في أي موضوع وجب التعريف به وبمصطلحاته، ومصطلحنا الرئيس هنا هو لفظ السخرية، لذلك لابدّ من معرفة هذا اللفظ في شقيه اللغوي والاصطلاحي.

أ – السخرية لغة :

السين، والخاء، والراء أصل مطّرد مستقيم يدلّ على احتقار واستذلال [1]، وقال الأخفش : سخرت منه وسخرت به، وضحكت منه وضحكت به، وهزئت منه وهزئت به، كلّ يقال، والاسم السُّخريّةُ والسُّخريُّ والسخريُّ [2]، ويقال : فلان سُخرة سُخَرة : يضحك منه الناس ويضحك منهم، وسخرت منه واستسخرت، واتخذوه سخريّا، وهو مسخرة من المساخر،

وتقول : ربّ مساخر يعدّها الناس مفاخر [3]، وعلى ذلك فالسخرية في معناها اللغوي احتقار واستذلال وضحك.

ب – السخرية اصطلاحا :

« السخرية قديمة قدم الإنسان، لأنّها قد تكون ترويحا عن النفس أو تسرية عن القلب، أو استنكارا لما يقع، أو هزءا وتندرا بالخصم، كما جاء في قصة " نوح " (عليه السلام)، حين أمر بصنع السفينة ليجمع فيها من كلّ زوجين اثنين، وأهله، وقرابته المؤمنين، ومن اتبعه وآمن به ... هزأ به قومه، وضحكوا ... »[4].

وللسخرية ألفاظ أخرى تدور في مدارها، وتستعمل قريبة من مجالها، ومن ذلك نجد ما هو قريب وما هو أقرب، وما هو أوجع وأشدّ وقعا؛ فالقريب (التنديد والضحك)، والأقرب (التهكّم والاستهزاء والاستخفاف)، والأوجع والأشدّ وقعا (الإهانة والاحتقار)، وهذا الاستعمال الأخير أكثر شيوعا في كتب الأدب والنقد والبلاغة وغيرها [5].

وممن تناولوا السخرية بالتعريف طاش كبري زادة في المطلب الأول من آفات اللسان في قوله : « ومن الآفات السخرية والاستهزاء ومعناها الاستحقار الاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه، وقد يكون بالمحاكاة في الفعل وفي القول، وقد يكون بالإشارة والإيحاء » [6].

2 – ظهور فن السخرية في الأدب :

ولقد اخترنا لفظة (السخرية) لأنّها كما يبدو أقرب الألفاظ للدلالة على المعنى المقصود، ولكثرة دورانها على ألسنة الأدباء والنقّاد حتّى صارت علما لاتجاه أدبي معروف يسمى (الاتجاه الساخر) أو (الأدب الساخر)، وكثيرا ما يوصف شاعر أو أديب بأنّه (شاعر ساخر) أو (أديب ساخر) [7].

والسخرية لذلك « فن له خصائصه وطبيعته، إلاّ أنّه لا يخرج عن كونه هجاء، وهي عنصر من عناصر هذا الهجاء تحتاج إلى مواهب متعدّدة ومقدرة فائقة في اختيار الموضوع وصياغته وطريقة تقديمه وأسلوب المعالجة، ومعرفة بأذواق المتلقين وأقدار المهجوين » [8].

والهجاء حينما يفقد عنصر السخرية يستحيل إلى مجرّد سب وشتم ويفقد بذلك عنصرا من عناصر قوته وفعاليته الفنية، وقد أدرك النقّاد والأدباء ذلك منذ القديم، فأوجدوا

لذلك هذه الطريقة الذكية في اقتران الهجاء بالسخرية فيسخر العقل وتبرد الأعصاب [9] فتظهر السخرية بذلك في صورة « فن لا يتقنه ولا يجيده إلاّ الأذكياء البارعون في التعبير عن الكلمة بحذق ولباقة وذكاء ... » [10].

والسخريات التي ملئت بها كتب الأدب العربي موسومة بالغفلة والتغافل، والتناقض والتلاعب بالألفاظ والتهكّم بالعيوب الخلقية، والنفسية، والجسدية، والدعابة، والحذلقة، والرد بالمثل، والتهكم الاجتماعي والسياسي، والتخلص الفج، والقلب والعكس، وضعف العقل، وغير ذلك، والذي دعاهم إلى توظيف ذلك في أدبهم خبرتهم بأنّ الإنسان [11].

3– التعريف بصاحب المجموعة القصصية الروائي سليم بتقة :

الأستاذ الدكتور سليم بتقة أستاذ التعليم العالي بجامعة محمد خيضر بسكرة، مسؤول ميدان التكوين بقسم اللغة والأدب العربي، عضو اتحاد الكتاب الجزائريين، فرع بسكرة، عضو اللجنة العلمية للمنتدى العربي التركي للتبادل اللغوي، عضو لجنة قراءة وتحكيم في مجلّات علمية محكّمة، رئيس مشروع "التعدّد اللغوي في الخطاب الروائي الجزائري" بقسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، عضو وحدة بحث بعنوان "التفاعل بين الأدب الجزائري والفنون الأخرى" برئاسة الدكتور لعلى سعادة، عضو وحدة بحث بعنوان "الذات في الخطاب الأدبي الأندلسي في القرنين الرابع والخامس للهجرة" بقسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة.

سليم بتقة كاتب له أعمال في الرواية والقصّة والمسرح ، وله أكثر من أربعين منشور في مجلّات محكّمة وغير محكّمة، له تسع مؤلّفات مطبوعة بدور نشر وطنية ودولية، شارك في العديد من الملتقيات داخل وخارج الوطن، أشرف على رسائل الدكتوراه والماجستير وناقشها كذلك، يشغل الآن منصب أستاذ بقسم الآداب واللغة العربية بجامعة محمد خيضر بسكرة [12].

4– ومضات من المجموعة القصصية "أحلام تحت درجة الصفر" :

المجموعة القصصية "أحلام تحت درجة الصفر" للروائي سليم بتقة كتاب من الحجم المتوسّط، يقع في 80 صفحة، منشورات دار الجائزة للنشر والطباعة والتوزيع بالقبّة الجزائر العاصمة 2017، تتركّز أحداث المجموعة القصصية حول أشخاص من فئات شعبية مختلفة، وحتى من جنسيات مختلفة، لكل منهم حلم مهيمن على تفكيره : الحب، الاستقرار، تحقيق

الذات، الهجرة ... ويسلك كل من هؤلاء مسارات حياتية مختلفة في محاولاته المستمرّة لتحقيق هذه الأحلام، إنّها جزء من كينونتهم كبشر، لكنّها أصبحت دمارا عليهم بعد أن عجزوا عن تحقيقها [13].

5– صور السخرية في نماذج المجموعة القصصية "أحلام تحت درجة الصفر" :

ولأن المجموعة القصصية هي عبارة عن قصص متعددة بعناوين شتى، فصور السخرية لزاما لذلك تتنوع وتختلف اختلافا عاما لا جذريا، لأنّه لابدّ من رابط يربط بينها هاهنا على اعتبار وحدة الإطار الفني لمجموع القصص المعالجة في انتمائها لمجموعة قصصية واحدة وصدورها على قلم مبدع واحد، ولذلك نحاول أن نرسم هذه الصور متفرّقة في كلّ قصّة على حدة، ثمّ نوحّد بينها في رابط يشركها في شبه سلسلة متناسقة بشكل ما.

- **القصة الأولى "حتى الأشياء تهرم وتشيخ" :**

قصّة الزوجة (المعلّمة المتقاعدة) التي تسخر من تصرفات زوجها (الأستاذ الجامعي المتقاعد)، وربما كانت سخريتها تلك ناتجة عن الفراغ الذي تشعر به بعد التقاعد من جهة، وربما لأنّهما من مجال مهني واحد هو التعليم من جهة أخرى كل منهما يعلم ما فيه، كذلك المعاشرة الزوجية التي تبيح روح الممازحة أو التنذير أحيانا بينهما، ولو أنّ ذلك يظهر بعض الجدل في مواقف معيّنة أحيانا، ومن مثال ذلك قولها له : **(أنصحك بالذهاب إلى النوم ما دمت تتصفّح الجريدة بهذا الشكل ... ربما لو كان فيلما رومانسيا لأبقاك مستيقظا حتى الصباح حيث العواطف ... و...القبل أضاف سي بوبكر . قالت : هل جننت ؟ ألا تستحي من سنّك ...)** [14].

وربما كان موقفها هذا موقف أغلب النساء، وردّه ردّ معظم الرجال، وإنّما يعبّر الروائي هنا على موقف اجتماعي بعينه، قصد به على الأغلب رسم صورة لفئة اجتماعية هي فئة المتقاعدين، لتجسيد مدى الفراغ الذي يعيشونه في حياتهم اليومية، وذلك ما قاله الروائي في نص القصة : **(لا يكف سي بوبكر وزوجته عن التناوش، منذ أن زفّت ابنتهما الصغرى إلى بيت زوجها، وبقيا وحيدين)** [15].

وجاءت السخرية في موقف آخر من هذه القصّة حين ذكر سي بوبكر أنّ الشيخ القرضاوي تزوّج، وبعد مناوشة بينه وبين زوجته بشأن قوله هذا قالت له : **(بالله عليك هذا الشيخ الذي تتحدّث عنه، أهو فقيه في أمور الدين كلّها ؟ أم هو متخصّص في الزواج**

والطلاق ؟ لأني أراك لا تقرأ عنه إلاّ ما تعلّق بهذا الباب ... فردّ : أنا ... أنا ... فردّت : أنت ماذا ؟ أنتم الرجال لا تحبون إلاّ آية واحدة " وانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع " . فردّ : أتعترضين عن شرع الله يا امرأة ؟ ...) [16].

ثم قابلها هو بسخرية أخرى (**أنتنّ النساء هكذا، ترى المرأة تصوم وتصلّي، وتزكّي، وقد تفتي ... فإذا حدّثتها عن أمر التعدّد تخرج عن الملّة والعياذ بالله**)[17]، فأتبعته عند ذلك بسخرية جارحة إلى حد ما في قولها : (**أنت لست قادرا على أبسط الأشياء . فردّ : مثل ماذا ؟ ...**) [18]، وذلك الحال بين المرأة والرجل على الدوام، خاصة إذا تضايق كلّ منهما من الفراغ، وهو ما يعرب عنه سي بوبكر مباشرة (**حرمنا من الفايسبوك، متنفسي ووسيلة ارتباطي بمن أحب بعد تقاعدي ...**) [19].

ونجد أنّ السخرية في النماذج السابقة وقعت في أغلبها على شكل أساليب استفهام، والاستفهام فيها خرج عن غرض طلب الفهم كما هو معروف في دلالته ومعناه، إلى الإنكار في عرف البلاغيين، « ولاشكّ أنّ الإنكار والتهكّم والتحقير معان تأتي منها السخرية، فإذا خرج إليها الاستفهام أكسبها قوة وتأثيرا، لأنّ الاستفهام البلاغي فيه قوة وانفعال، فإذا كان ساخرا جاء في أغلب الأحيان عنيفا، فهو إمّا إهانة أو تقريع أو تهكم أو تحقير ينزل بالمسخور منه قويا كالصاعقة فيزلزله ويبلغ أثره فيه مدا بعيدا » [20].

والواضح أنّ الاستفهام في النماذج المختارة دلّ على الإهانة الممزوجة بالتهكّم، لأنّ حديث الزوجة وزوجها يدور في هذا الإطار الدلالي، خاصة إذا ما تعلّق الأمر بتعدّد الزوجات، واحتجاج الرجل بالدين وحديث المرأة النابعة عن عاطفتها وغيرتها.

- **القصّة الثانية "الكولونيل داود" :**

وهي قصّة عيسى الذي هاجر إلى فرنسا للعمل، ولأنّه أهمل حلق لحيته وتركها تطول وصف بالإرهابي، وقضى 15 سنة في السجن ظلما، وقد جاءت السخرية في هذه القصة كلّها استهزاء واحتقار، لأنّ الشخص الموجهة إليه غريب في بلاد كان أهلها مستعمرين لبلده.

ومن نماذج سخرية أهل البلد قولهم له في المصنع الذي يشتغل به يستفزّونه بكلمات جارحة : (**أيّها العربي الـ ...، لم لا تعود إلى بلادك ؟ لقد كرهنا تواجدكم هنا ... أبناؤنا لا يجدون عملا بسببكم**) [21]، وقولهم في موضع آخر : (**... لم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقد**

تطاول أحدهم بأن أخذ قشرة موز وقذفه بها مردّدا : ki ki ki ... هنا توقف وشعر بالإهانة تستفزّه مباشرة ... فقد صوابه وهرع ليهوي على أحدهم بلكمة على وجهه، ...) [22].

والملاحظ أنّ السخرية في هذه المرّة وقعت بأسلوب النداء المقرون بالصفة المراد السخرية بها، والتي جاءت في النموذج الأول ظاهرة (العربي ال ...)، وفي النموذج الثاني مقدّرة في (ki ki ki) بعد رمي قشرة الموز، وفي ذلك دلالة على وصفه بالقرد، وصوته يدلّ عليه وطعامه كذلك، والقرد في الثقافة إنسان ممسوخ، وربما هذا ما أراده هؤلاء.

وأسلوب النداء بالألقاب والصفات من « أقدم صور السخرية وأساليبها لذلك نهى الله عنها، وسمّاها فسوقا » [23]، ولا غرابة في أن يصدر عن أصحاب هذا البلد لأنّهم ليسوا بمسلمين، وتوظيف ذلك نابع عن أن صاحب النص القصصي عارف بموقف المستعمر متشبّع بقيم الوطنية رافض لكل سيطرة، فهو في عرضه هذا ينبّه كل جزائري إلى كره المستعمر الغاشم لكل منتم لوطن الجزائر.

- **القصّة الثالثة "لعنة مونت كاسينو" :**

تحكي هذه القصة عن مداني الذي شارك في الحرب العالمية الثانية مع فرنسا، ثمّ عاد إلى بلده وهو يفقد رجله ويتفاجأ بأنّ عائلته أبيدت من قبل فرنسا، وهو بذلك يدفع الثمن مرتين في حرب ليس له فيها ناقة ولا جمل ، وكأنّ فرنسا والقدر سخرا منه بصورة ما، فبينما هو يحارب لصالح فرنسا يحدث أن يفقد رجله وذلك مقدّر له، ويعود متألّما مما وقع له، فتقابله السخرية مرّة أخرى من فرنسا، التي تبيد عائلته، وكأنّها تقول له : هذا جزاء صنيعك معي.

ومن نماذج دلالة هذه الأحداث قول مداني : **(لم أقدر على النهوض، لقد أصيبت إحدى ساقي إصابة بليغة ... حاولت استرداد أنفاسي، واستعادة وعيي ... كانت أشلاء الجنود القتلى تملأ المكان ...)** [24]، وقول الممرضة سيلفيا : **(عزيزي مداني لقد قرّر الطبيب بعد الفحوصات ... قرّر ... قرّر ماذا ؟ قرّر بتر ساقك ... إنّها الغرغرينة ! يا لهولي ما أسمع، أكان لمداني أن ينتهي هذه النهاية ؟)** [25]، ويبدو في العبارة الأخيرة توجع مداني وألمه جراء ما آلت إليه حالته.

وبعد العملية التي خضع لها مداني زاد توجعه وألمه ودليل ذلك قوله بعد أن رأى نفسه برجل واحدة : **(فقدت ساقي ... فقدت القدرة الآن على كل شيء ... أضعتها وأضعت كل**

أحلامي ... دخلت في حالة من الهلع ... في حالة هستيريا ... كل ما كنت أسمعه ساقي ...) [26]، والمقطع يبدي توجعا شديدا وصل إلى حد اليأس في نفس مداني.

وتتكرّر سخرية أخرى حين عودة مداني إلى بلدته، هذه المرة سخرية مزدوجة؛ سخرية القدر وسخرية فرنسا تقول له : أنت الذي بذلت ما بذلت لنصرتي وفقدت ما فقدت لأجلي، أنا أجازيك، لكن بعكس ما تتوقع وما تستحق، وجاءت سخريتها فور دخوله القرية التي يقطن فيها متضمنة في حديث الحاج عميرة – أحد سكان القرية – قائلا : **(قدم الفرنسيون في هذا الصيف من شهر ماي 1945 يبحثون عمن شارك في المظاهرات، ممن أخطأتهم رصاصات ذلك اليوم المشؤوم، وفاجأوا الأهالي المسالمين في بيوتهم، وراحوا يطلقون النار، فلم ينجو من تلك المذبحة من أفراد أسرتك أحد)** [27].

- **القصّة الرابعة "حديث القنافذ" :**

وهي قصّة "عبد القادر" المدير الذي أحبّ سكرتيرته "ديهية"، لكنّه ينسحب من حياتها مغيّرا المؤسسة، لأنّه ببساطة له زوجة وأطفال، وهنا نلاحظ سخرية الأقدار التي أدخلت عبد القادر في قصّة حب كلّفته 17 خطابا كتبه لديهية، لكنّه لم يقدّمه لها، غير أنّ الأمر بلغ به حدّه وقرّر أن يبعث لها خطابه الأخير (الخطاب السابع عشر)، الذي وصل إليها فعلا وقرأت ما فيه وتجاوبت مع عواطفه وبادلته شعوره وحبّه.

وسخرية القدر تأتي لتقضي على أحلامهما حين يقرّر عبد القادر الانسحاب من حياتها خلسة بعد أن سلّمها خطابا يقرّ فيه بنيّته في تغيير المؤسّسة، لأنّه شعر بأنّ ظروفه تعاكس ارتباطه بها، ومما جاء في ذلك قوله في رسالته : **(إنّ الذي ستقرئينه هو القرار الصحيح الذي اتخذته على مضض ... لقد قرّرت التحويل إلى مؤسسة أخرى ... إلى أبعد نقطة عنك ... سأنتشل نفسك من ذكرياتي ... سأدعو الله أن يخمد هذه المشاعر المشتعلة بداخلي ...)** [28].

- **القصّة الخامسة "أنفلونزا" :**

وهي قصّة "زهية" التي ماتت بداء أنفلونزا الطيور، لطول معاشرتها، لأنّ زوجها جموعي (بيروكي) كان مربيا وبائعا لها، لكنّه لم يكلّف نفسه عناء السؤال عن زوجته المريضة، إلى أن ماتت وهي تقوم على خدمته وخدمة بيته وتراعي تجارته وتعتني بعصافيره وطيوره التي يربيها ليبيعها مكرهة في أغلب الأحيان.

والسخرية في هذه القصّة تتأتى من موقف جموعي من العناية بزوجته وأولاده وتضييق الخناق عليهم في معيشتهم وعدم تلبية أبسط حاجياتهم أو الرفق في معاملتهم، ودليل ذلك قول صاحب النص : (**تهرب زهية دائما من خناق الواقع ... الذي عادة ما تهيم في أعماقه كسحابة داكنة ... واقعها هذا الذي يطوّقها بالآلام والأوجاع وتحسّ فيه بمرارة ... هي أمرّ من الدفلى والحنظل ... إلى عالم العصافير الذي أحبّته رغما عنها ...**) [29].

ورغم معاناتها هذه إلاّ أنّ زوجها سخر منها وازداد سخرية بعد مرضها في أن تخلى عنها ولم يكلّف نفسه عناء السؤال عن حالها، ودليل ذلك ظاهر في قول صاحب النص : (**استغربت زهية من تخلي زوجها عنها في هذه الظروف ... لم يكلّف نفسه حتى أن يسأل عنها ... فعوض أن يكون سندا، أصبح عائقا أمام العلاج بسبب الشرخ الكبير الذي تركه في نفسية زهية ... لقد واجهت المرض بمفردها ... شعرت في لحظة أنّ الموت الحقيقي هو عدم مبالاة زوجها ...**) [30].

- **القصّة السادسة "طريق الحريق" :**

وهي قصّة "سايدو" الطفل المالي الذي كان كلّه أملا في الابتعاد عن الحرب وصوت الرصاص، لكن عصابة نصبوا عليهم وأخبروهم أنّهم سينقلونهم إلى برج باجي مختار (حرّاقة)، وتاهوا في الصحراء وماتوا واحترقت أجسادهم بحرارة الشمس، ويبدأ صاحب النص قصّتهم بقوله : (**كان حلم سايدو أن يلتحق بمدرسة ساليف كايتا ببماكو، وأن يصبح لاعب كرّة محترف بأوربا، وكان مثله الأعلى سايدو كايتا ...**) [31].

وبدأت رحلتهم من تمبوكتو حيث أوصلتهم الحافلة حين ذهب والده (**يسأل عن الشاحنة التي تقل الحرّاقة الأفارقة إلى برج باجي مختار ...**) [32]، والكلّ محمّل بآمال لا تنتهي بالعيش الأفضل والحياة الأمن، غير أنّ كل ذلك يتلاشى بحلول اليوم الموالي وتحميلهم في الشاحنة وتوغلهم في الصحراء ليصلوا (**مع بزوغ الفجر، وبعد مسيرة ساعات، أوقف السائق محرك الشاحنة، بينما نزل الثاني وفتح الباب الخلفي، وأمر الجميع بالنزول ... أشار المهرّب لهم إلى أضواء منبعثة من بعيد، وقال : لقد وصلتم الحدود الجزائرية ... إنّها مسيرة نصف الساعة ... وحينما وصلوا، كانت المفاجأة، إنّها أطلال قرية مالية ... إنّهم لم يخرجوا من مالي**) [33].

وتظهر السخرية عند هذا الموقف من هؤلاء الناس البسطاء السذج، حينها يصرخ أحدهم (**لقد نصبوا علينا، خدعونا، استغلّوا براءتنا ... أحسّ سايدو بأنّ أحلامه ستقبر وإلى**

الأبد بهذا المكان ... بعد أيام عثرت دورية عسكرية على جثث الحرّاقة الـ 35 على بعد 50 كلم من الأطلال التي توقفوا بها في حالة يرثى لها ...) [34].

- **القصّة السابعة "هيبربوليس" :**

وهي قصّة الأستاذ القروي الذي انتقل للعمل في المدينة، لكنّه لم يستطع التعوّد على العيش فيها، يعاني من الزملاء ومن التلاميذ وكره المدير ، فيبقى محتارا في مفترق الطرق، هل يبقى في العمل ويتحمّل ما يعاني من محيطه الجديد ؟ أم يعود إلى قريته ويتخلّص من كل ذلك ؟.

ويذكر بطل القصّة مواقف السخرية التي تعرّض لها تباعا، بداية من حديث مدير المؤسسة التي يدرّس بها في قوله : **(لم تزل كما أنت قرويا ابن قروي، لم تغيّرك المدينة رغم مرور السنوات، كان وجهي يحتقن غضبا كلّما نعتني أمام زملائي بالقروي المتخلّف، وكم ما مرّة كدت أهوي بالمسطرة على صلعته، لولا تدخّل الزملاء ...)** [35]، ونعت المدير هذا يحمل موقفا ساخرا ونظرة دونية تجاه أبناء القرية تصل إلى حد الاستحقار، وهو دلالة من دلالات السخرية.

ويضيف بطل القصّة سرده لمواقف السخرية التي تعرّض لها في أوّل أيام العمل وهو يدخل المؤسسة يرتدي بدلة جديدة لزوم المنصب فيقول : **(ما إن ولجت ساحة المؤسسة حتى ظهرت أمامي أولى بوادر السخرية من مظهري لدى التلاميذ، وما فتئت أن صرت موضعا لتهكّم زملائي داخل قاعة الأساتذة، وتحوّلت ضحكات الأستاذات إلى سكين تمزّق أعماقي ...)** [36]، والموقف هنا يعبّر عن نفسه، هو سخرية مستفزّة لكرامة هذا الأستاذ، سخرية ممزوجة باستهزاء وتهكّم، سخرية مؤلمة موجعة، تعبّر للأسف عن صورة اجتماعية.

- **القصّة الثامنة " رتاج الصمت" :**

وهي قصّة معمّر الرجل المتقاعد والشيخ الهرم الذي جلس بجواره يوما في الحديقة ليحسّسه بدفء العائلة وقيمتها في حياته، وليسخر من تفكيره، ومن رأيه في الحياة، التي يرى أنّ فراغها دون زوجة أو أطفال نعمة، ويصحّح له رؤيته في هذا الحوار بينهما : **(ما تخافش يا وليدي ما يتهنى الزوفري من همو حتى يلقى البايرة اللي تلمو . راك غالط يالحاج ... راني نحس باللي مجرّد التفكير في هذا الأمر .. يخليك تتحرق . هذا هو الاحتراق الجميل . اللي ما يسمع كلام لكبير يا وليدي يطيح في البير ...)** [37].

كان لهذا الحوار أثره في نفس معمّر التي كانت محتاجة لمن يضغط لها على الزناد ليوقظ فيها جراحا تمّ نسيانها أو تناسيها، وجاء حديثه ليكون أنيسا يتقن وصف الحال والنفس، ودليل ذلك قول صاحب النص في آخر القصّة : (**ظلّت كلمات الشيخ ترنّ في أذنيه .. مسألة العائلة ودفئها .. والشريك الذي يضيء وحشة الوحدة ...**) (38).

الخاتمة :

ختاما لهذه المقالة يمكن القول أنّ أشكال وصور السخرية قد اختلفت وتنوّعت في قصصها وأحداثها بين الموظّفة للأساليب البلاغية والمتعلّقة بتصرفات وممارسات منافية للأخلاق من نصب واحتيال، وتلك التي تتّخذ من الهجاء والشتم طريقا لها، كما كان لها شكل يرمي إلى إعطاء العبرة مثلما هو في آخر قصّة من المجموعة في حال قصّة معمّر (الرجل المتقاعد) مع الشيخ الهرم الذي صحّح له ما كان يعتقد من عدم جدوى العائلة، ونصل من استعراضنا هذا إلى عدد من النتائج ندرجها في ما يأتي :

* أنّ السخرية جاءت في نصوص المجموعة بعدّة أشكال وصور يخالف بعضها بعضا.

* أنّ أساليب السخرية تنوّعت في قصص المجموعة بين الاستفهام والنداء (وهي أساليب بلاغية)، وبين تصرفات (النصب والاحتيال)، وتهكّمات واحتقار، وبين نصح واعتبار.

* أنّ أهداف السخرية في نصوص المجموعة مختلفة فمنها ما يهدف إلى الاستخفاف ومنها ما يهدف إلى التهكّم والاحتقار والإحساس بالدونية، ومنها ما يسعى إلى الاستغلال، ومنها ما كان بناء يعطي العبرة ويصلح من النفس.

* الملاحظ أن السخرية في قصص المجموعة مهما اختلفت أنواعها وصورها فإنّها ترتبط في خيط واحد هو خيط التعبير عن الواقع بكل ما يحمله، فنماذج المجموعة هي نماذج بشرية تمثّل فئات اجتماعية موجودة في واقعنا اليومي، تعالج أمراضا تتفشّى في المجتمع وتضرّ به.

والواضح أنّ تعدّد صور السخرية الموظّفة في هذه المجموعة القصصية هو شكل لتعدّد النماذج البشرية واختلاف طباعها وسلوكها في مقابل بعضها البعض، ممّا يشكّل الكثير من التناقضات في المجتمع الذي نعيش فيه والذي يتخذه صاحب النص المعالج مرجعا لنسج قصصه وصوره .

مصادر البحث ومراجعه :

الكتب :

1 - الزمخشري (أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري ت 528ه)، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419ه/1998م، ج1.

2 - سليم بتقة، أحلام تحت درجة الصفر – مجموعة قصصية، دار الجائزة، القبّة، الجزائر العاصمة، الجزائر، 2017.

3 - السيد عبد الحليم محمد حسين، السخرية في أدب الجاحظ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، ط1، 1997ه/1988م.

4 - ابن فارس(أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت 395ه) ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ج3.

5 - ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري ت 711ه)، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، طبعة جديدة محقّقة ومنقّحة ومشكولة شكلا تاما ومذيّلة بفهارس مفصّلة.

الأطروحات :

- شعيب بن أحمد بن محمد عبد الرحمن الغزالي، أساليب السخرية في البلاغة العربية – دراسة تحليلية تطبيقية، قسم البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1414ه.

مواقع الأنترنيت :

- الأستاذ الدكتور سليم بتقة – الإتحاد الدولي للغة العربية https://alarabiahunion.org (يوم : 2022/12/30 على الساعة 13:00 ظهرا).

مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري : أحلام تحت درجة الصفر univ-biskra.dz (يوم : 2023/01/01 على الساعة : 14:50 مساء).

(1) - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، دط، 1399هـ/1979م، ج3، مادة (سخر)، ص 144.

(2) - ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، طبعة جديدة محقّقة ومنقّحة ومشكولة شكلا تاما ومذيّلة بفهارس مفصّلة، دت، مادة (سخر)، ص 1963.

(3) - الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ/1998م، ج1، مادة (سخر)، ص 443.

(4) - السيد عبد الحليم محمد حسين، السخرية في أدب الجاحظ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، ط1، 1997هـ/1988م، ص 64.

(5) - شعيب بن أحمد بن محمد عبد الرحمن الغزالي، أساليب السخرية في البلاغة العربية – دراسة تحليلية تطبيقية، مذكرة ماجستير في النقد والبلاغة، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، السعودية، 1414هـ، ص 14.

(6) - طاش كبري زادة، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، دار الكتب الحديثة، القاهرة، مصر، 353/3 نقلا عن شعيب بن أحمد بن محمد عبد الرحمن الغزالي، أساليب السخرية في البلاغة العربية – دراسة تحليلية تطبيقية، ص 23.

(7) - شعيب بن أحمد بن محمد عبد الرحمن الغزالي، أساليب السخرية في البلاغة العربية – دراسة تحليلية تطبيقية، ص 21.

(8) - ينظر: عباس بيومي عجلان، الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1985م، ص 282 نقلا عن شعيب بن أحمد بن محمد عبد الرحمن الغزالي، أساليب السخرية في البلاغة العربية – دراسة تحليلية تطبيقية، ص 27.

(9) - ينظر: شعيب بن أحمد بن محمد عبد الرحمن الغزالي، أساليب السخرية في البلاغة العربية – دراسة تحليلية تطبيقية، ص 27 – 29.

(10) - عبد الغني العطري، أدبنا الضاحك، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط2، 1412هـ، ص 131 نقلا عن شعيب بن أحمد بن محمد عبد الرحمن الغزالي، أساليب السخرية في البلاغة العربية – دراسة تحليلية تطبيقية، ص 29.

(11) - ينظر: السيد عبد الحليم محمد حسين، السخرية في أدب الجاحظ، ص 67.

(12) - ينظر: الأستاذ الدكتور سليم بتقة – الإتحاد الدولي للغة العربية https://alarabiahunion.org .

(13) - مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري: أحلام تحت درجة الصفر univ-biskra.dz يوم: 2023/01/01 على الساعة: 14:50 مساء.

(14) - سليم بتقة، أحلام تحت درجة الصفر – مجموعة قصصية، دار الجائزة، القبّة، الجزائر العاصمة، الجزائر، 2017، ص 7.

(15) - نفسه، ص 6.

(16) - نفسه، ص 8.

(17) - نفسه، ص 8.

(18) - نفسه، ص 8.
(19) - نفسه، ص 9.
(20) - شعيب بن أحمد بن محمد عبد الرحمن الغزالي، أساليب السخرية في البلاغة العربية – دراسة تحليلية تطبيقية، قسم البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1414هـ، ص 74-75.
(21) - سليم بتقة، أحلام تحت درجة الصفر– مجموعة قصصية، ص 15.
(22) – نفسه، ص 18.
(23) - شعيب بن أحمد بن محمد عبد الرحمن الغزالي، أساليب السخرية في البلاغة العربية – دراسة تحليلية تطبيقية، ص 131.
(24) - سليم بتقة، أحلام تحت درجة الصفر– مجموعة قصصية، ص 21.
(25) - نفسه، ص 25.
(26) - نفسه، ص 27.
(27) - نفسه، ص 31.
(28) - نفسه، ص 42.
(29) - نفسه، ص 49.
(30) – نفسه، ص 51 – 52.
(31) - نفسه، ص 54.
(32) – نفسه، ص 56.
(33) – نفسه، ص 62 – 63.
(34) – نفسه، ص 63 – 64.
(35) – نفسه، ص 67.
(36) – نفسه، ص 69.
(37) – نفسه، ص 78.
(38) – نفسه، ص 79.